تعد الشخصية أبرز عناصر البنية السردية وأهمها، فهي بمثابة النقطة المركزية أو البؤرة الأساسية التي يرتكز عليها العمل السردي، وهي عموده الفقري «فلا يمكن تصور قصة بلا أعمال كما لا يمكن تصور أعمال بلا شخصيات»[1]، إذ لا نكاد نعثر على نص سردي يفتقر إلى شخصيات تدير أحداثه، أو تدور الأحداث حولها سواء في السرد القديم أو الحديث، فهي «تقليد متوارث»[2]، حيث كانت ولازالت محل اهتمام الدراسات الأدبية، ولكن ما الشخصية؟ وما مفهومها في النقد الروائي التقليدي؟ وما النظرة أو الوجهة الجديدة في دراستها؟.

إن دراسة الشخصية من المواضيع الأساسية في عالم الإنتاج الأدبي- فهي تمثل وفي كل الحالات- موضع اهتمام ونقطة تركيز تقليدية ومتوازنة للنقد القديم والمعاصر، ولا غرو في ذلك، فهي القطب الذي يتمحور حوله الخطاب السردي، «حيث تلعب الشخصية دورا رئيسيا ومهما في تجسيد فكرة الروائي إذ من خلال الشخصيات المتحركة ضمن خطوط الرواية الفنية، ومن خلال تلك العلاقات الحية التي تربط كل شخصية بالأخريات، يستطيع الكاتب مسك زمام عمله وتطوير أحداثه من نقطة البداية حتى لحظات التنوير في العمل، وهذا لا يتأتى بطبيعة الحال من غير العناية بصورة مدققة وسليمة فيرسم كل شخصية، ويبين أبعادها وجزئياتها، سواء كانت علاقات التكوين الخارجي والتصرفات والأحاديث الصادرة عنها»[3].

1- مفهوم الشخصية:

1-1- لغة:

جاء في معجم لسان العرب مادة (ش،خ، ص) لفظة الشخصية أنها تعني: «سواد الإنسان وغيره تراه من بعيد، وكل شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه، والشخص كل جسم له ارتفاع وظهور، وجمعه أشخاص وشخوص وشخاص وشخص تعني ارتفع والشخوص ضد الهبوط كما يعني السير من بلد إلى بلد وشخص ببصره أي رفعه فلم يطرق عند الموت»[1]. وفي قوله تعالى: (وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا)[2]. وأيضا «تعني من وراء اصطناع تركيب (ش،خ، ص)، من ضمن ما تعنيه التعبير عن قيمة حية عاقلة ناطقة فكأن المعنى إظهار شيء وإخراجه وتمثيله وعكس قيمته»[3].

و"الشخص" في اللغة العربية «سواء الإنسان وغيره، يظهر من بعد تعني وقد يراد به الذات المخصوصة، وتشاخص القوم: اختلفوا وتفاوتوا، أما الشخصية فكلمة حديثة الاستعمال تعني: صفات تميز الشخص عن غيره»[4].

والشخصية عند **ابن منظور** في لسان العرب «فقد جاء شخص الشخصيات، جماعة شخص الإنسان وغيره مذكر والجمع أشخاص وشخوص وشخاص، على ذلك قول بن أبي ربيعة:

فكان مجني دون من كنت أتقي * * * ثلاث شخوص كعبان ومعصر

ويقول فإنه أثبت الشخص أراد به المرأة، والشخص سواء الإنسان وغيره من بعيد نقول ثلاثة أشخاص، وكل شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه»[1].

وردت لفظة الشخصية في معجم المنجد في اللغة العربية المعاصرة بمعنى طلع وارتفع، شخصية: ج شخصيات: مجموعات الصفات التي تميز الشخص عن غيره «احترام شخصية فلان، شخصيات مؤلف وآثاره، صاحب شخصية قوية، رجُل بارز، ذو مقام شخصية عظيمة»[2]. هنالك تباين في استعمال المصطلحين عند النقاد والأدباء العرب في حين أن القضية أكثر وضوحا عند الغربيين فهم «يميزون بسهولة بين (personne – person) (personnage – personage) من وجهة نظر، وبين (personage – parsonage) من وجهة نظر أخرى»[3].

أما عن أصل كلمة شخصية فهي «مشتقة من الأصل اللاتيني persona، تعني هذه الكلمة القناع الذي كان يلبسه الممثل حيث يقوم بتمثيل دور أو كان يريد الظهور بمظهر معين أمام الناس، فيما يتعلق بما يريد أن يقوله أو يفعله، وقد أصبحت الكلمة على هذا الأساس تدل على المظهر الذي يظهر به الشخص، وبهذا تكون الشخصية ما يظهر عليه الشخص في الوظائف المختلفة التي تقوم بها على مسرح الحياة»[4].

إن الشخصية عبارة عن صفات تميز الفرد عن غيره، ويقال: فلانٌ ذو شخصية قوية: ذو صفاتٍ متَميِّزة وإرادة وكيان مستقل، و(الأحوال الشخصية): المسائل الشرعية المتعلقة بالأسرة، كأحكام الميراث والزواج، و(البطاقة الشخصية).

1-2- اصطلاحا:

تعرف الشخصية من الناحية الاصطلاحية على أنها: «كل مشارك في أحداث الرواية سلبا أو إيجابا، أما من لا يشارك في الحدث لا ينتمي إلى الشخصيات بل يعد جزءا من الوصف»[1]؛ فيما يذهب البعض إلى تعريفها بأنها «الكائن البشري المجسد بمعايير مختلفة، أو أنها الشخص المتخيل الذي يقوم بالدور في تطور الحدث القصصي»[2]. وأيضا «الشخصية هي مجموع الصفات التي كانت محمولة للفاعل من خلال حكي يمكن أن يكون هذا المجموع منظما أو غير منظم»[3].

وتطلق الشخصية على الإنسان الفرد كما هو موجود في الواقع العياني، أي ذلك الكائن الذي يمارس نشاطات عديدة، أما في الرواية والقصة والمسرحية، فإن الكائن البشري مجسد بمعايير مختلفة في إطار ما يسمى "الشخصية"، ولا يقصد بالشخصية مجموع الخصائص والمميزات النفسية المتصلة بالكائن الحي، وإنما يقصد بها ذلك المكون الذي يحاول به كاتب العمل الحكائي عن طريق أسئلة اللغة، مقاربة ذلك الإنسان الواقعي الذي يحمل عادة اسم شخص وفقا لشفرة خاصة ونسق متميز، وذلك للدلالة على الفرد الذي تشترك في تكوين جسمه ونفسيته مجموعة من العوامل الطبيعية والاقتصادية، والاجتماعية والثقافية... الخ و بهذا نصل إلى أن الشخصية في العالم الحكائي، ليست وجودا واقعيا بقدر ما هي مفهوم تخيلي، «إنها ذلك الشخص المتخيل المبتكر الذي يقوم بدور في تطوير الأحداث وتناميها»[4].

وفي موضع آخر، الشخصية هي: «كل مشارك في أحداث الرواية، سلبا وإيجابا»[1].

وللشخصية دور مهم وفعال في العمل الروائي: «إذ تعتبر أساس ومحور الحركة الأفقية والرأسية فيه، وهي تحتل معظم أجوائه، حيث تمتد منها وإليها جميع العناصر الفنية في العمل الروائي، ويتمحور حولها المضمون الذي يود الكاتب قوله للقارئ، حيث يتعاقد القارئ والكاتب تعاقدا أساسه الجوهري، الثقة والحرية، وهكذا يكون من خلال الشخصية... من فعلها وسلوكها وحركاتها داخله»[2].

إن كثيرا من النقاد العرب «يخلطون بين "الشخص" و"الشخصية"، ولذلك تراهم يقولون "الأشخاص" طورا و"الشخصيات" طورا آخر كأن أحدهما مرادف للآخر، ويسقط **محسن جاسم الموسوي** في بعض ذلك أيضا، حيث يراوح بين "الشخصية" إفرادا و"الشخوص" جمعا، وهو لا يصطنع إلا الشخوص في حال الجمع»[3].